في منظومة القيم الدولة المسلمة

أحمد طه

06 محرم 1436 هـ ـ 30/ 10 / 2014 م

www.ommaty1401.blogspot.com

الإنسان المسلم، والمجتمع المسلم، والدولة المسلمة.. صناعة ربانية خالصة، ومخطئ من يحاول النظر إلى "منظومة القيم" في الدولة المسلمة من خلال مفاهيم "وضعية بشرية" ! ذلك أن منظومة القيم والأخلاق الإسلامية لا تنطلق من مجرد استحسان الخلق، إنما تنطلق من شريعة وإيمان، وتُثبت هذه القيم جذورها وأركانها انطلاقاً من الإيمان بالله.. وحده لا شريك له، وانطلاقاً من خلال تحديد مفهوم الإنسان، والحياة، والكون.. من خلال التصور الإسلامي الخالص، بعكس القيم الأخرى التي يفرضها القانون أو عُرف الناس أو فكر البشر.

فكيف تتكون منظومة القيم هذه، وما هو مدى تأثيرها على استمرار الدولة المسلمة، وقيام حضارتها ؟

القاسم المشترك بين قيم الإنسان، والمجتمع، والدولة هو: "الاستسلام" و"العبودية" لله رب العالمين. هذه هي "القاعدة" وأساس البنيان.. وبغيرها فكل بنيان على شفا جرف هار: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّه لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[التوبة: 109]

وليس مجرد "الاستسلام" و"العبودية" فحسب.. بل الاستسلام لأجل "ابتغاء مرضاة الله" و"اتباع رضوانه": ﴿ قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ. يَهْدِي بِهِ اللَّه مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[المائدة :15، 16]

وليس ثمة اختيارات أخرى.. فإذ لم يكن "الاستسلام والعبودية" لله، فحتماً ستكون لغيره، وإذ لم يكن "الاستسلام والعبودية" على طريق ابتغاء مرضاة الله، واتباع رضوانه" فحتماً سيكون ابتغاء رضى غيره!

وكل استسلام وعبودية لغير الله، واتباع غير رضوان الله؛ هو الشقاء والهلاك والفناء والدمار في الدنيا والآخرة.

وليس "الاستسلام والعبودية" و"ابتغاء مرضاة الله واتباع رضوانه" فحسب، بل التزام الصراط المستقيم في كل نية، وفعل، وعمل، وهذا الصراط هو الذي يضبط حركة الإنسان في الحياة الدنيا، فيسير فيها بلا عوج، ولا انحراف، وهو الطريق المستقيم الذي يعبر الإنسان من خلاله إلى "الجنة" حيث نهاية رحلة الحياة الدنيا، وبداية رحلة الحياة الحقيقية، ولا عجب إذ يردد الإنسان دعاء الله له بالهداية لصراطه المستقيم سبعة عشر مرة في الصلاة المفروضة – غير السنن والنوافل: ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ﴾[الفاتحة: 6]

لأن الإنسان يحتاج هداية الله لصراطه المستقيم لا أقول في العمل فحسب.. بل في تلك "النية" التي تختلج في الصدر، والتي سيحاسبه الله عليها، قبل أن يحاسبه على العمل.. والنفس لن تهتدي إلا بهداية الله لها، ولا مُزكي لها إلا الله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ﴾ [الأعلى : 14] وكان دعاء النبي ﷺ:"اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا" [صحيح مسلم/2723] ولأن النفس قد تنحرف في سُبل متفرقة تحسبها هي الحق والصواب: ﴿ وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : 153] فلا مفر للإنسان من "الاستسلام الكلي" لله سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام : 162]

والتصور الإسلامي لا يفرق بين الإنسان، والمجتمع، والدولة في حقيقة هذا الاستسلام لله، والعبودية التامة له.. بل لا يفرق حتى بين الأرض كلها والكون كله صغيره وكبيره، فالكل له خاضع، مُسبح، عابد: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران : 83] ﴿ وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴾ [الرعد : 15] ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [الحج : 18]

ومخطئ من يظن أن محيط القيم والأخلاق هو مجرد مجموعة من القيم المثالية أو المواعظ التربوية يُلقيها المُعلم أو المربي على أسماع الصغار! غير مرتبطة بأوضاع المجتمع، والدولة، بل والحياة البشرية كلها.

إن محيط القيم والأخلاق في التصور الإسلامي يعمل في جميع مجالات الإنسان، والمجتمع، والدولة، والحياة البشرية كلها.. ولا يدع مجال "القيم والأخلاق" وفق هوى الإنسان.. ﴿ بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴾ [القيامة : 5] هذه هي إرادته يريد الانطلاق كالبهيمة متحرراً من "الرقي الإنساني" الذي كرمه الله به، ولا يريد أن تُوقفه حواجز القيم والأخلاق، والإنسان – وهو وحدة بناء الحياة البشرية كلها، وموضوعها الرئيس – ظلوم وجهول.. **ولرفع الظلم**: لابد من الخضوع للإله، والاستسلام له في كل شيء.. ﴿ اهدِنَــا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ ﴾ [الفاتحة : 6]، **ولرفع الجهل**: لابد أن يضيء نور الوحي عقل الإنسان وقلبه: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ [النور : 40]

إذن، منظومة القيم والأخلاق في التصور الإسلامي: نابعة من شريعة وإيمان، ومتجهة لإرضاء الله جَلَّجَلَالُهُ، وتعمل في كل مجالات الحياة، في صراط واحد مستقيم. وهي على العكس تماماً من التصور الجاهلي نحو القيم والأخلاق: التي تنبع من "استحسان" الإنسان لها، ومتجهة لإرضاء ذاته أو غيره، وتعمل في مجال الحياة الشخصية، بينما يخضع المتجمع والدولة إلى "منظومة قيم" أخرى مادية علمانية جامدة! في سُبل متفرقة، يحسبون فيها أنهم على شيء، وأنهم فيها مهتدون!!

* * *

منظومة القيم في الدولة المسلمة:

كون الدولة المسلمة تملك القوة والسلطان المادي، فإنها تستمد "شرعيتها" و"قيمها وأخلاقها" فقط من طريق واحد هو: "التحاكم إلى شرع الله" وشرع الله يَعلو ولا يُعلى عليه، فهي له مستسلمة وخاضعة وعابدة.. وكل سلطان وشرعية لا تأتي من هذا الطريق هي شرعية باطلة، وحكم باطل، وقيم منحطة! فالدولة المسلمة بكل قوتها وسلطانها لا تملك أن تُحل حراماً، أو تُحرم حلالاً.. ولا تملك أن تُشرع – من دون الله أو مع الله – أحكاماً وقوانين إلا بما يأذن بالله..

ولا تبتغي الدولة الريبة في الناس أو تتجسس عليهم: قال رسول الله ﷺ: " إِنَّ الْأَمِيرَ إِذَا ابْتَغَى الرِّيبَةَ فِي النَّاسِ أَفْسَدَهُمْ " [مسند أحمد/23302]

أي معاملة الناس بسوء الظن، والشبهة، والتجسس، وتتبع عوارتهم.. فذلك يُفسد الناس، ويشجعهم على إتيان ما ظُن بهم من سوء!

بل الأصل في المجتمع المسلم الخير، ولا تهمة بلا بينة، ولا عقاب إلا بشرع الله.. وهذه هي القاعدة الأصلية التي تنطلق منها قيم الحق والعدل الرباني، وهذه هي القاعدة التي تمنع "الظلم والجهل".

منظومة القيم في المجتمع المسلم:

تأتي منظومة القيم في المجتمع المسلم من خلال "الاجتماع" على الإسلام.. فهو رابطة الولاء والحب والنصرة، وهو الوشيجة التي فوق وشيجة الدم، والنسب، وهو الآصرة التي تجمع بين قلوب المجتمع المسلم.. والتي لا تلتفت إلى فروق اللغة، والنسب، والقوم، والجنس، واللون، والأرض، فهي تنتسب إلى الحق الذي قام على هذا الوجود كله، ولا تفرق بين أفراد هذا المجتمع إلا "بالتقوى" والناس فيه سواسية

كأسنان المشط: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : 13] قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بالتَّقْوَى، أَبَلَّغْتُ؟ "، قَالُوا: بلَّغَ رَسُولُ اللَّهِ" [مسند أحمد/22977]

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لا يَزِيدُ ذَا شَرَفٍ عِنْدَهُ وَلا يَنْقُصُهُ إِلا بِالتَّقْوَى "[المعجم الأوسط للطبراني/7328]

فذاك المجتمع جسد واحد، يشد بعضه بعضا.. بالتواد والتراحم والحب: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى " [صحيح مسلم/2587]

وعلى أساس "الاجتماع" على الإسلام.. تنبثق منه منظومة القيم والأخلاق.

منظومة القيم في الإنسان المسلم:

الإنسان المسلم: هو إنسان حر.. أي: يختار "الاستسلام" لله في لحظة اختيار حر كاملة، بعيداً عن سلطان الدولة، وضغط المجتمع.. هو لله مستسلم، ولشرعه متبع، وفي صراطه المستقيم يسير، وهو لا يرقب نظرة الناس، ولا عين الشرطي! إنما ينشغل بسيد واحد، ويبتغي رضى سيد واحد.. سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.. جَلَّجَلَالُهُ. ومن "رقابته الذاتية" على نفسه، ومن استسلامه لله، تنبثق منظومة القيم والأخلاق، بل وتنشأ "النفس اللوامة" التي تحاسب الإنسان أشد الحساب على ما فرط وقصر.. لمَ قصر؟ وتحاسبه كذلك على الخير والعطاء.. لماذا لم يكن الخير والعطاء أكثر وأفضل؟! وبها أقسم الله: ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة : 2]

فرقابة المسلم على نفسه، أشد من رقابة الدولة والمجتمع.. لأن المسلم لا ينتظر نظرة الرضى من الدولة، والقبول من المجتمع.. بل ينتظر "رضى الله" الذي رضي الإنسان واختار "الاستسلام" له : ﴿ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ [البينة : 8]

ونلحظ في هذه المنظومة (الدولة – المجتمع – الإنسان) أن الجميع لله مستسلم، وله خاضع، ولشرعه متبع، ولذا نجد صورة فريدة ربانية من: "التوازن، والتكامل، والسلاسة، والاستواء" فيما بينهم.. فما تفرضه الدولة بسلطانها المادي، يكون المجتمع بالفعل مجتمع عليه، ويكون الإنسان يأتيه بلا سلطان مادي..

ذلك أن الدولة فيما تفرضه بسلطانها المادي تبتغي به رضى الله، والمجتمع إذ يجتمع إنما يجتمع على كتاب الله وشرعه، وينتسب له وحده، والمسلم بلا دولة ولا مجتمع.. يراقب نفسه، دون الحاجة إلى فرض الدولة سلطانها عليه..

وهذه الصورة يستحيل أي نظام وضعي – من صنع البشر – أن يصل إليها، ذلك لأنها صورة: ربانية، متوازنة، ثابتة، إيجابية، واقعية، شاملة.. أتت من عند خالق الإنسان والحياة، ويعلم ما يُصلحه: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: 14] ﴿ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه: 7]

وهذه الصورة هي الصورة الوحيدة التي ترتقي فيها الإنسانية، وترتقي فيها الحياة البشرية، وهي الصورة التي تحقق سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة.

مثال:

الدولة بسلطانها: تفرض الحجاب، والاحتشام، وعدم الاختلاط.

المجتمع بقوته: يستبق هذا الفرض، ويفعله، وينظر باحتقار وازدراء من يخالف هذا الفعل.. بالابتذال والتعري.

الإنسان بإيمانه: يستبق المجتمع والدولة، ويأتي هذا الفرض – الذي شرّعه الله ابتداء – وهو يبتغي رضى الله، ومحبته. ورقابته على نفسه أشد من رقابة الدولة، وضغط المجتمع. وقيمه نابعة من إيمانه، بحيث إذا غاب سلطان الدولة ونظرة المجتمع، لم يتغير في هذا الإيمان شيء، فهو لم يكن للدولة ولا للمجتمع الذي قد يغيب ويتغير، إنما هو لله جَلَّجَلَالُهُ الذي لا يغيب، ولا يتغير سُبْحَانَهُوَتَعَالَى.

هذه هي الصورة الطبيعة والبسيطة والسهلة لمعنى "الاستسلام" لله رب العالمين.

* * *

الخلل:

يحدث خلل في منظومة القيم هذه..! وأول ما يبدأ الخلل يبدأ في (إيمان) الإنسان، ثم يصيب (المجتمع) ثم يصيب (الدولة) وتضطرب العلاقة بينهم، فيُعادي كل منهم الآخر، وتنشأ حالة "الصراع" الذي لا يطمئن فيها أحد، والتي تفسد فيها الأخلاق والقيم، وتتحول إلى صورة مزيفة من "النفاق" و"الكذب" !!

وتكون الصورة كالتالي:

منظومة القيم في الدولة:

الدولة تغتصب حقوق الأمة، وتستبد بالحكم، أو تجعله في حدود طبقتها الاجتماعية، وتستأثر بالمال والثروة، والجاه والسلطان، وتنشغل عن خدمة الرعية، بالعبودية للشهوات والمتاع والسلطان، وتنسى الله والدار الآخرة! وتستخدم سلطانها المادي لمصالحها الشخصية، وهذه الدولة – مثلاً – ستفرض الحجاب والاحتشام !! كصورة ظاهرية فقط، فيُنكر "مشايخ السلطان" فيها على من تكشف عن وجهها، ولا ينكرون على الدولة التي تسرق الوطن بأكمله، وتكشف عن عورتها المغلظة للمحتل! فيحاسبون على البعوضة، ويبلعون الجمل!!

منظومة القيم في المجتمع:

يضيع الود والحب والتراحم والرحمة في خضم التعالي، والتحاقد، والتباغض، والتحاسد.. بين فئات المجتمع، ويتفكك البنيان المرصوص، ويمتزق الجسد الواحد، ويدخل للمجتمع قيم القبيلة الجاهلية، والتفاخر بالإنساب لا بالإيمان! ويصبح التفاضل بين الناس على حسب ما في أيديهم من "مال" لا ما في قلوبهم من "تقوى".. وسيجد – مثلاً – في فرض الحجاب تعنت وتضييق وتحجر أمام التفاخر بالثياب المزخرفة والأزياء الجديدة، وتضيع منظومة القيم في المجتمع، لتحل مكانها منظومة أخرى جاهلية.. تتبدل فيها معاني "الجمال" !!

منظومة القيم في الإنسان:

وبغياب الإيمان يحضر الظلم والجهل، وتضيع من الإنسان الحرية، فيدخل سجن "الذل والعبودية" برجليه!! فيجد الإنسان نفسه تحت قهر سلطان الدولة المادي، وتحت نظرة المجتمع المتملق، فيروح "ينافق" المجتمع، و"يهرب" من سلطان الدولة..

يروح يستر جسده أمام سلطان الدولة، ويتعرى عندما يغيب سلطانها، ويعطي المجتمع الوجه الذي يريد! إذا كان يريد الحشمة.. احتشم له مؤقتاً، وإذا أراد العري.. تعرى كأفضح ما يكون التعري! وتتفكك منظومة القيم لديه.. فهو ضائع!

إن الإنسانة التي لا تجد زوجاً لها، والإنسان الذي لا يقدر على الزواج.. ستقهره الشهوة، وسيدفع الشابة لاستعراض نفسها وجمالها وستتحايل بكل الصور على ما تفرضه الدولة، وسيلاحقها الشاب.. وستتمزق القيم داخل الإنسان أولاً، ومهما بلغ سلطان الدولة والمجتمع.. فلن يستطيع منع هذا التلاقي، لأن المانع الحقيقي هو داخل الإنسان.. هو خشية الله الذي يراه حيثما كان، ويعلم سره وجهره، وما خفي على نفسه!

هذه الصورة القبيحة المقيتة.. تأتي عندما يغيب (الإيمان) – الذي تنبع منه منظومة القيم الحقيقية – عن الإنسان والمجتمع والدولة.

* * *

وإذا افترضنا أننا أما هذه الصورة القبيحة، ونرغب في علاجها، فكيف يكون العلاج ؟

العلاج من خلال الدولة:

عندما يَمنّ الله على عباده بالتمكين، ويعطيهم السلطان المادي، فيتحاكموا إلى شرعه.. فإنهم يؤدون هذا الشرع "**كله**" فلا يؤمنون ببعض، ويكفرون ببعض! بل الشرع منظومة كلية تعمل في مجال الأخلاق، كما تعمل في مجال السلوك، كما تعمل في مجال السياسة والمال، كما تعمل في كل مناشط الحياة بلا تجزئة وبلا انقطاع، وعليه فلن تكون الدولة مشغولة بفرض "صورة" فارغة من الحشمة والحجاب – مثلاً – وتترك المجتمع نهباً للفساد والظلم، أو تقوم الدولة – مثلاً – بفرض الحجاب، ثم تسرق – بكل وحشية ونهم لا ينقطع – أقوات الشباب والبنات، فلا يجدون عملاً سوى البطالة والعنوسة.. فتلتهم الشهوات أخلاقهم، وتضيع القيم، وترغب الفتاة في التعري، والشاب في ملاحقة اللحم العاري!! ولا يجيدون أي قيمة لدولة كاذبة مزيفة.. تفرض صورة من الحشمة الظاهرة.. بينما الدولة نفسها قبيحة شمطاء عارية سارقة لثرواتهم وأحلامهم وحياتهم..

وإن الدولة التي تبتغي رضوان الله وتريد الاستسلام له حقاً وتتبع شرعه.. فإنها – على سبيل المثال – إذ تفرض الحجاب والاحتشام وعدم الاختلاط.. الذي هو شرع الله، فهي تفرض العدل والمساواة والحق في توزيع الثروة.. الذي هو شرع الله، وتخلق فرص عمل للشباب فلا تتركهم نهباً للبطالة والشهوات، وتسهل للناس سُبل الزواج، وتشجع عليه.. وهذا أيضاً هو شرع الله، وتربي الشباب والنشء التربية القلبية والعقلية والإيمانية الصحيحة؛ حتى تستقيم حركتهم في الحياة.. وهذا أيضاً شرع الله، وتشجع المجتمع على الجهاد لفتح البلاد والعباد لتحريرهم من كل طاغوت، وظلم، وفساد، وتعيد لهم "الحرية المسلوبة" بعبودية أهواء البشر؛ وهذا أيضاً شرع الله.

العلاج من خلال المجتمع:

وعندما يعود الإيمان إلى المجتمع، ويبدأ في التطهر من العصبية الجاهلية، يبدأ في حصر المرض في أضيق حدوده، وإن كان المجتمع يأخذ مساحة أكبر ومدة زمنية أطول في التغيير.. ذلك لأن هذه طبيعة المجتمعات البشرية، ولكن متى انتظمت فيه منظومة القيم الربانية، على قاعدة "الاستسلام لله رب العالمين" وصل إلى الصورة الصحيحة والمطمئنة التي تُعيد تماسك المجتمع على أساس الحب والرحمة والود والتراحم، وتضيق مساحة التفاخر والتنابذ والتحاقد والتحاسد والتباغض، وبإصرار المجتمع على التزام الاجتماع على الإسلام وحده لا شريك له.. يعمل "الإلف والعادة" على إعادة ترميم المجتمع من جديد على أسسه الإيمانية الصحيحة.

العلاج من خلال الإنسان:

ويأتي من إعادة "تربية" الإنسان على خشية الله وحده، ورقابته وحده، والوجل منه وحده.. واتباع رضوانه وحده؛ وعلى تحرير الإنسان من "الآصار السياسية" و"الأغلال الاجتماعية" وتربيته على لحظة الاختيار الحر، والتي يغيب فيها كل شيء إلا الله.. فيكون الاختيار من أجل الله، وباسم الله، ابتغاء مرضاة الله.

وبذلك يعود الإنسان إلى صورته الطبيعة المتناسقة، المستوية القيم والموازين، والأخلاق والشعور، والحركة والسلوك.. وينتظم في (المجتمع) كلبِنة سوية.. تصلح للبناء والنماء والارتقاء في (دولة) تقيم الدين "كله" والحق "كله" والعدل "كله" فيها الجميع.. لوجه الله الكريم يبتغي رضوانه وجنانه..

وبذلك تعود منظومة القيم متكاملة متوازنة إيجابية فعالة شاملة.. انطلاقاً من: **الاستسلام الكامل والعبودية الخالصة لله** جَلَّجَلَالُهُ**، ابتغاء رضوانه، واتباع صراطه المستقيم**.. في كل شيء، فلا يسير خطوة في صراط الله، وعشرات الخطوات في السُبل المتفرقة، فيضيع منه كل شيء إنما هو صراط واحد: ﴿ وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: 153]

* * *

إن منظومة القيم في الإسلام بين الدولة والمجتمع والإنسان.. تتبادل مكوناتها الحب والرحمة والود والاحترام والتسامح، والسمع والطاعة، والحق والعدل، والمحاسبة والرقابة، والفداء والتضحية، والأثرة والفضل، والألفة بين القلوب.. وذاك طريق لا يصنعه سوى الإسلام العظيم: ﴿ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّه أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: 63]

* * *